

دلالة المكان في رواية "جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل" لحبيب مونسي

Significance of The Place in The Novel of " His Majesty The Great Fathre
The Danger Coming FromThe Future" by Habib Muns

محمد القاسم فلاني

FOULANI Mohammed Elkasem

جامعة أحمد درايعة (الجزائر)، k.foulani@univ-adrar.edu.dz

تاريخ النشر: 2023/07/13

تاريخ القبول: 2023/07/08

تاريخ الاستلام: 2023/04/03

الملخص:

تنوعت الأمكنة ودلالاتها في النصوص الروائية السردية، بتنوع أشكال الخطاب وبنيته وبتعدد شخصياته ودورها في تفعيل الأحداث مما يؤكد أن للمكان أهمية في النص باعتباره وسيلة اتصال وتواصل يجذب القارئ لها فيستقبلها ويفك رموزها.

وللحديث عن الأمكنة واستحضارها في رواية جلالته الأب الأعظم كانت هذه الدراسة التي تبحث في ثانيا النص بالوقوف عند مكوناته وتحليلها تحليلا فنيا وبيان جمالية صوره وأساليبه، حيث كان للمكان بعدا دلاليا و فضاء خصبا يعبر بنا عبر أحداث الرواية مساهما في تطورها، ومبرزا قيمتها الفنية ، مجيبة عن قدرة حبيب مونسي في إبراز أهمية المكان بين الواقع والخيال ومساهمته في إبراز الخيال العلمي الذي سلكه الروائي في عرض الأحداث وتطورها.

الكلمات المفتاحية: الأب الأعظم ، المكان ، الرواية ، الدلالة ، الأمكنة.

Abstract:

Like their significance in the narrative novel texts, places vary. This variety is also due to the diversity of the discourse forms and its structure, the multiplicity of its characters and the pivot role in activating the events, It also confirms the importance of the place as a means of delivering and communication that attracts the reader to receive and decode it.

To shed light on places in the novel "His Majesty, the Great Father" and to stop at every single component in order to analyze it artistically showing the aesthetics of its images and methods, we can refer to Habib Muns's ability to highlight the importance of the place between reality and fiction, and his contribution to highlighting the science fiction that the novelist used in presenting events and their development.

Keywords: The Grand father – The Place – The Novel- The Significance - The Places.

المؤلف المرسل: محمد القاسم فلاني ، الإيميل: kacem1233@gmail.com

1. مقدمة:

المكان فضاء واسع ورحب، تتحرك فيه شخصيات النص وتتفاعل مع عناصره، يستطيع القارئ التفاعل مع أحداثه بطريقة فنية جمالية، يرسم من خلالها معالم الحياة الإنسانية مبرزاً أهم العناصر الرئيسة المرتبطة بالمكان والتي تعمل الرواية على إبرازها من خلال تماسك أحداثها باعتبارها سلسلة من الوقائع المترابطة، تضمن تماسك النص الروائي وتبرز مقوماته، انطلاقاً من المرجعية التاريخية للمبدع.

والمكان عنصر من أهم العناصر الأساسية التي تشكل الخطاب الروائي فهو الذي يجعل من أحداث الرواية بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع و يقوم "بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح". (الحميداني، 1991 ص 65)

2. المكان في الرواية :

عدّ النقاد المكان عنصراً متميزاً، ينمو ويتطور في أحداث الرواية ويساهم في بناء أحداث النص الروائي بل هو الهدف من وجود العمل كله ويمثل "الخلفية التي تدور فيها الأحداث وتتحرك من خلالها الشخصيات" (شاهين، 2001 ص 15) بل هو الذي يرسم معالم النص ويبدع في إخراجها ويحاول من خلاله الكاتب الرقي به إلى عمل إبداعي جمالي "يخترق أفق المستقبل متخذاً العلم وأدواته كوسيلة في الأحداث، الأمر الذي يجعلها في هذا الأفق تبدو مقبولة وممكنة" (خليفة، 2009 ص 65)، فهو يحمل دلالات وأبعاد مختلفة يحددها المبدع ويرجو من خلالها تقريب العلاقات بين شخصيات النص أو خلق التباعد بينهم.

وبين جماليات المكان و دلالاته، ينسج المبدع خطاباً روائياً تتعدد عناصره وبناءه اللغوية والتعبيرية، يحاول من خلالها الناقد قراءة النص قراءات متعددة ويشغل بدقة على فك شفراتها للتعبير عن ذاته باستعمال خطابه ولغته محاولاً بذلك إنتاج نص إبداعي، وسيلته في ذلك فك وتحليل الرموز والوحدات التي تربطه بواقعه المعيشي "فهو ليس حقيقة مجردة وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز" (قاسم، 2004 ص 106).

ويمكننا القول أن مصطلح المكان في الرواية، كان محور نقاش في الدراسات النقدية الحديثة التي حاولت ضبط مفهومه وتوظيفه وفق توجهاتهم وميولاتهم الشخصية المرتبطة بواقعهم الاجتماعي والسياسي والنفسي.

1.2 مفهوم المكان:

1.1.2 لغة:

المكان هو: "الموضع والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع" (الزبيدي، 1994 ص 34) والمكان اشتقاقه من "كان يكون ولكنه كثر في الكلام فصارت الميم كأنها أصلية، والمكان جمعه أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية" (منظور، 1997 ص 83)، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (سورة مريم الآية 22) مكانا قصيا بعيدا من أهلها

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، فرارا من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج.

2.1.2 . اصطلاحا:

المكان عنصر أساسي في بناء العمل الروائي، فهو نتاج تفاعل الأحداث من خلال استمرارها وديمومتها في نص المبدع تتحرك فيه الشخصيات فينمو ويتطور ليكتشف الناقد من خلاله عناصر التشويق والجمال في العمل الإبداعي.

اعتبره أرسطو أي المكان "السطح الباطن فهو موجود مادما نشغله، ويمكن إدراكه عن طريق الحركة التي تبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر" (عبيد، 2011 ص 08).

ويرى أفلاطون أن المكان هو "الحاوي للأشياء" (زعيتر، 2013 ص 29) وهو في الرواية فضاء يحتوي على كل العناصر الحكائية، يساهم في بناء النص الروائي باعتباره عنصرا من عناصر السرد فهو "الخلفية التي تدور فيها الأحداث وتتحرك من خلالها الشخصيات" (شاهين، 2001 ص 15)، بل هو الهدف من وجود العمل الروائي باعتباره محركا للأحداث وأداة للتعبير.

والمكان وحدة أساسية في بناء العمل الروائي إذ "لا يمكن تصور حكاية بلا مكان، ولا جود لأحداث خارج

المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان معين". (بوعزة، 2010 ص 99)

فهو يتصل بجوهر العمل الفني ويوطد العلاقة بين المبدع والقارئ لأن "المكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات الطفولة، ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور" (باشلار، 1984 ص 06) بل هو "الجغرافية الخلاقة في العمل الفني" (النصير، 1990 ص 18).

والمكان في نظر يوري لوتمان (1922-1993) "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات

أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة يقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة" (بوعزة، 2010 ص 99)، فهو بذلك يشكل عنصرا محوريا في أحداث الرواية ويضع الأشياء في قلبها و يميز بينها، بل هو العنصر المؤثر فيها يعمل على إنشاء علاقة وطيدة بينه وبين شخصيات النص الروائي ينمو ويتطور، "والمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا، ويتضمن معاني عديدة بل قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله" (بحراوي، 1990 ص 33)، ويسعى إلى تكوين الشخصيات لكونه ناقلا للواقع المعيشي للأفراد مستندا في ذلك على العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية داخل المجتمعات فهو " يتفاعل مع الشخصيات داخل العمل الروائي، ويسعى إلى تكوينها فكريا ونفسيا ووجدانيا، ويؤثر في انتقالها من حال إلى حال، كما أنه يسهم في خلق المعنى داخل الرواية، كما أن الروائي المبدع يستطيع أن يحول المكان إلى أداة تعبيرية عن موقف الأبطال من العالم الخارجي" (عبيد، 2011 ص 08)، فالمكان يكتسب دوره الأساسي من صلته بالمبدع والمتلقي معا وهو نتاج أمكنة متعددة في النص الروائي، تتعدد كلما تعددت قراءات النص وتعددت أدواتها والتي بفضلها يمكن الوصول إلى عمق النص انطلاقا من مفهوم المكان وجمالياته"فالمكان حينما يكون موضوعا جماليا متخيلا يكتسب خاصية الأثر المبدع الذي تؤول ملكيته إلى القارئ أولا وأخيرا". (مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، 2011 ص 131)

هكذا كان المكان من وجهة نظر الدراسات النقدية في مظاهره المتعددة ، وجمالياته الفنية ، ومعطياته الإنسانية سواء على مستوى الدراسات الغربية أو العربية حيث ساهم في بناء جماليات النص فهو حقيقة جوهرية وغاية مقصدية تساهم في بناء العمل الروائي.

3. ملخص رواية جلالته الأب الأعظم :

تعد رواية جلالته الأب الأعظم لحبيب مونسي من الأعمال العربية السردية التي تجمع بين الحقيقة والخيال، تدور أحداثها حول حاكم مستبد يحتكر السلطة ويجبر سكان المعمورة على الولاء والطاعة، يصنع فيها الكاتب من المستقبل والحاضر، فضاء يكشف فيه حجم الدمار والكراهية التي يحملها بعض الحكام لشعوبهم، جاعلا من الماسونية فكرا ومعتقدا يخدم الإنسانية ويقود العالم نحو دولة عالمية جديدة أساسها الظاهر العلم والمعرفة وحقيقتها الخفية العبودية والولاء.

بدأت الرواية برسائل لمجموعة من العلماء، أملمهم نشر القيم الأخلاقية والتسامح، غير أنهم عجزوا عن تخليص البشرية من الشيطنة التي يمارسها بعض الأقوياء على الضعفاء وانتهت بانتحارهم في إشارة إلى النهاية المأساوية للحياة البشرية.

الخطر الآتي من المستقبل عنوان فرعي لرواية حبيب مونسي يعبر عن الحياة التي يعيشها الإنسان بداية من سنة 2026 ومعها يظهر جلالته الأب الأعظم السلطان الجائر المؤسس لمملكته القائمة على الآلات والتكنولوجيا العلمية، الداعي إلى قيام دولته لا سيد فيها إلا هو، ولا مكان فيها للكنائس والمعابد والمساجد، يمارس فيها سلطته عبر عملية التطهير الكبرى لجعل من سكان المعمورة تحت جبروته وسلطته، دولة لا مكان فيها للدين والسياسة والفكر، فيها أصبح العقل البشري آلة مبرمجة يتحكم فيها جلالته حسب رغبته ونزواته. أسس للحسنات قصرًا يشبع فيه رغباته الجنسية سماه قصر الحريم، يُمنع على الرجال الدخول إليه، ويدخله الفتاة إشتار أجملهن والأقرب إليه، إنها الأم العظمى التي تعهد إليها بتربية موسى الابن الأعظم لجلالته.

موسى الابن الأعظم الذي اصطدم بحقيقة هذه الحياة المؤسسة على الجبروت والإذلال لجلالته فحمل راية تخلص العالم منها، انطلاقًا من رغبته في الخروج منها واكتشاف العالم الخارجي، وكان لأمه إشتار الفضل في إقناع جلالته بقبول سفيرة موسى.

خرج موسى من هيمنة جلالته واكتشف حقيقة العالم الخارجي، اكتشف جعله يؤمن بضرورة تخلص المعمورة من الطاعة العمياء للأب الأعظم وذلك بتشكيل مجموعة هدفها تعطيل العقل الجبار وبرمجته برمجة عكسية، تنتهي بإسقاط الدولة العالمية وقتل جلالته وعودة البشرية لطبيعتها.

وانتهت الرواية بانطلاق الجموع في الشوارع في هدوء واتزان، ناشدت بعضها البعض وأشرقت الحياة من

جديد.

4. مستويات المكان في الرواية:

المكان والحيز والفضاء هي مصطلحات اختلفت دلالتها باختلاف مشاعر وأحاسيس مستعملها، فهي جزء من أجزاء العملية السردية وموقع تدور فيه أحداث العمل الإبداعي، يسعى الناقد إلى اكتشافها وتحديد مستوياتها المتباينة "قالأمكنة بالإضافة إل اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها فهي تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق والانفتاح والانغلاق". (لحميداني، 1991 ص 72) ومن خلال النصوص الروائية التي نتحدث عن الأمكنة نصل إلى حقيقة المكان بكونه تجربة جمالية إبداعية وفق مستويات عديدة أهمها:

1.4 الأماكن المفتوحة:

الأماكن المفتوحة فضاءات شاسعة تتحرك فيها الشخصيات بكل حرية وانفتاح ،الحديث عنها هو "حديث عن أماكن ذات مساحات هائلة، توحى بالمجهول كالبحر و النهر، وتوحى بالسلبية كالمدينة، أو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحى، حيث توحى بالألفة والمحبة، أو هو حديث عن مساحات صغيرة كالسفينة والباخرة كمكان صغير، يتموج فوق أمواج البحر " (عبيد، 2011 ص95)، توظيفه في العمل الروائي يكون حقيقة أو خيالاً فهو يعتبر مسرحاً وحيزاً لأحداث الرواية تتحرك فيه شخصياتها في إطار زمني معين تمنح للمبدع القدرة على الإثارة والتشويق وعلى القارئ التذوق والقدرة على إنتاج نص آخر سردي له دلالاته المكانية.

لقد كون المكان في رواية جلالته الأب الأعظم حيزاً مهماً في رسم معالم النص نتيجة تفاعل الإنسان مع مجتمعه، إنما هو نظام من حياة الفرد الثقافية والسياسية والاجتماعية تتصارع فيه الأحداث فيجعل منها شيء محتمل الحدوث، وقد اختلفت هذه الأمكنة وتعددت وفق عملية سردية يكشف فيها المبدع عن مشاعره وأحاسيسه سالكا في ذلك عنصري الإثارة والتشويق لإظهار جمالية النص والتي يمكن تبينها من خلال قراءتنا لهذه الرواية :

1.1.4 المدينة :

احتلت المدينة في الرواية العربية مكاناً بارزاً، فالحديث عن جمالها ورونقها كان غاية كل مبدع باعتبارها بنية جغرافية ومعمارية تحدد هوية من يسكنها وهي تمثل "فضاء جغرافياً واجتماعياً تضم مجموعة من البنايات، يسكنها عدد معتبر من البشر يشتغلون في نشاطات ذات طابع تجاري وصناعي وإداري" (محمد، 2001).

أما المدينة في رواية جلالته الأب الأعظم فقد تنوعت تنوع شخصياتها وأحداثها وتعددت دلالاتها انطلاقاً من المدينة العلمية الحديثة التي يريد الأب الأعظم أن يؤسسها مخالفة لكل المدن في الماضي والحاضر، فيقول جلالته: "تعالوا أحبائي... تعالوا إلى مدينة جديدة، لا سيد فيها ولا مسود، إلى دولة لا تحمل من معاني الدولة ما ألفتموه أنتم، وآبائكم ومواليكم وحكامكم من قبل...." (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص51)، أنها المدينة المثالية التي يريد الأب الأعظم بعيداً عن الأحقاد والظلم والقيود التي تحكم هذه الحياة باسم الإيديولوجيات والجنسيات والديانات، مدينة يولد فيها الإنسان من جديد يعبق بالصفاء ليبنى حضارة الصفاء وفق ما يريده من خنوع وخضوع وولاء مبرراً ذلك بقوله: "إن عرفتكم الآن لماذا دمرنا الكنائس والمساجد والمعابد، وحططنا الأصنام والتماثيل والنصب، ولسنا كما يفهم البعض ملحدون لا نؤمن بشيء ولكن نحن مؤمنون بجلالتنا، وأبوتنا العامة للناس أجمعين.." (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002

أ. المدينة العلمية العالمية لجلالته الأب الأعظم :

هي مدينة فاضلة يريد أن يعيش فيها جلالته الأب الأعظم وحاشيته، بعيدة عن السلبات التي تعكر صفو حياتهم، أنها المدينة المبنية على أساس العلم والتكنولوجيا، ينتقل فيها الأشخاص من عالم واقعي إلى آخر خيالي افتراضي يقول الأب الأعظم: "لقد قسمنا الدولة إلى ثلاثة وثلاثين قطاعا، وجعلنا على كل مقاطعة حكيما يتولى شؤونها، يساعده في ذلك كاهن من مجلس الكهنة، وعسكري من مجلس العسكريين، مربى من مجلس المربين، وقررنا أن نحج إلى القاعة المشرفة مرة كل شهر، لننزود بالطاقة الحيوية التي ينعم بها جلالته الأب الأعظم، ثم نعود إلى مهامنا" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص66)، أنها الحلم الذي رواد جلالته، حلم يوحد الكرة الأرضية، يجعل من سكانها شعبا واحدا يدين بدين واحد لا تفرقهم الأهواء والشعارات، حلم في نظر جلالته قريب من التحقق والوصول إلى الغاية المنشودة، ذلك ما نعيشه في وصف تلك المدينة العالمية التي يريد لها جلالته انطلاقا من القاعات التي "اشتعلت الأنوار فيها فجأة، فأضاءت قاعة مثلثة الشكل، تبدأ بقاعدة طويلة يرتفع عليه جدار شفاف تتلاعب فيه الأنوار تلاعبا باهتا في اختلاط عجيب" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص60)، وجدرانها التي لا تختلف عن الجدران العادية ولكن فيها جداران "يشكلان ضلعي المثلث إنهما لا يلتقيان في زاوية حادة بل يندفعان في تطاول إلى بداية جديدة لعالم مجهول" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص60) ويقلب القاعة المثلثة الشكل "طاولة مثلثة تتابع الجدار في الطول والغرابة، تحفها مقاعد حمراء من عين مادتها" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص60) أنها بالفعل تبهر المتواجد بها بفضل تمازج الألوان وتراقص الأضواء، وتجانس الأصوات المنبعثة ببطء من داخلها، وكأنها عالم من التأمل، يسمع فيه صوت الحكمة والسكينة.

الدولة قسمت إلى ثلاثة وثلاثين قطاعا، والقاعة مثلثة الشكل، والجداران بها يشكلان ضلعي مثلث، والطاولة بها مثلثة تتابع الجدار في الطول والغرابة، ومجلس الحكماء به ثلاثة وثلاثين حكيما يميلون بالولاء والعبودية للجلالته، عدد وأشكال جعلت من موسي الابن الأعظم لجلالته يتساءل عن رمزيته داخل هذه الدولة " فالقصر الملكي اتخذ شكل المثلث بما فيه من قاعات وطاولات وزخارف، وكأن الشكل يرمز إلى شيء معين، ربما كانت الثلاثية فيه غارقة في القدم، تستمد سحرها من معتقدات قديمة قدم الإنسان نفسه" (مونسي، جلالته الأب

الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص125) فالعدد ثلاثة كما جاء في معجم تفسير الأحلام "إنجاز وعد" (سيرين، 2008 ص767)، ويرمز إلى الجدية والاستمرار في الحياة والحلم والسعي لتحقيقه فهو " يطلب منك أن تقوم بالخطوات والأعمال التي أجلتها سابقا وأن لا تبقى ساكنا وأن لا تنظر إلى الخلف وأن تقوم بخطوات للأمام، فهو يختصر الحلم الذي يراود جلالته ويحمله في مشاعره وأحاسيسه، يحاول تجاوز جميع العوائق والصعوبات في بناء مدينته الفاضلة يتحدث فيها عن أفكاره ومشاعره ويقدم رؤيته المستقبلية للحياة. شكلت المدينة العالمية في نظر الأب الأعظم خلاصا للبشرية من الفقر والعباد والحرمان، فهي تدعو للتواصل والتجانس ونبذ النزعة الفردية والبحث عن أفق من الحرية والعدالة وجعل الفرد يشعر بإنسانيته التي فقدتها في ماضيه وحاضره ولكن تحت سلطته "أنتم تعلمون الجهود التي بذلناها لبلوغ هذا المجد، فقد عولنا على التطهير تطهير الدنيا من ماضيها الأسود، وغيرنا أنظمتها تغييرا جذريا، لأننا لم نكن نؤمن لحظة بجدية المسار الذي كانت تسلكه الأمم فيها" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص63) مدينة يحكمها جلالته الأب الأعظم الرجل المعجزة، شعارها الولاء والعبودية والتبرك بحضوره أنه الرب المطلوب في نظره لشعوب المعمورة.

ب- مدينة لندن :

المدينة العالمية التي يريدها جلالته ويحكمها بنظامه العالمي الجديد، لم تخلو من وجود مدن واقعية ربطت النص الروائي بعالم الإنسان الحقيقي من هذه المدن العاصمة الانجليزية لندن، فهي واحدة من أهم المدن التي تقود العالم في الفنون والتجارة والتعليم والترفيه، والرعاية الصحية، و وسائل الإعلام و الخدمات المهنية، والبحوث والتنمية والسياحة والنقل، أنها المدينة التي أراد موسى أن يسافر إليها بشروط جلالته وموافقة أمه إشتار التي ظلت تسانده وقلبها يخفق خوفا عليه غايتها في ذلك" إطلاعها على العلم الذي سألها عنه لأنه وصل إلى السن التي لا بد له من معرفته، وإدراك أسرار" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص129)

غادر موسى مدينة جلالته متجها إلى لندن عبر الطائرة، مستمتعا بعظمتها وكبرائها وهي سابعة في الجو مناسبة انسياب السمكة في لجج الماء، سائلا أحد الجالسين بجانبه: متى تنزل الطائرة في مطار لندن؟ (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص140) مدينة أراد زيارتها ليقابل الناس ويعيش مشاعرهم وأحاسيسهم، لكنه أصابه الذعر والذهول في أول إنسان يقبله " فلم يجد في طريقه إنسانا تام الإنسانية يشعر بالأنس والدفع.. لقد وجد الهياكل التي تنبؤه عن الحطام الذي آلت إليه البشرية بعد التطهير

الأكبر...وهاهو النموذج الجديد للإنسان بين يديه يتساءل في حيرة عن هويته...أهو إنسان أم آلة؟ (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص142).

مدينة لندن كانت بداية رحلة موسى الابن الأعظم لجلالته حول العالم لاكتشاف السر الذي أوصل جلالته لتأسيس دولته العالمية، لندن المدينة مدينة ذات العمارات الشاهقة، والطرق الواسعة التي تحفها أعمدة الكهرباء، وتمر عبرها الوجوه والملامح البشرية، وتصطف بجانبها السيارات الفاخرة ولكن موسى " وسط هذه المدينة يفتقر إلى الأتس وهو الذي جاء للبحث والدراسة، هل ينام مستسلما لشعور الضيق والوحدة في هذه الغرفة الفخمة؟ أم يحاول أن يمد جسر التعارف إلى ما حوله من الناس؟ وهل يجد فيهم الإنسانية التي يبحث عنها" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص150) ، لكنه لم يجد سوى الخراب، خراب العقول والنفوس والأرواح.

ج- مدينة ريو دي جانيرو:

ريو من أجمل المدن العالمية، تحتوي على أهم المعالم السياحية في البرازيل حيث أصبحت مدينة عصرية ذات شوارع فسيحة ومبان حديثة يستمتع السكان فيها على وجه الخصوص بشواطئها المشمسة وملاهيها الليلية ومهرجاناتها النابضة بالحياة، لكن بعد التطهير الكبير الذي مارسه جلالته على المدن حتى تخضع لسلطته، جعلها مدينة تستمد قوانينها وقواعدها من تهور رجل مغرور يدعي العلم والمعرفة، فحولها من مدينة ذات مناظر خلابة وقطب سياحي ينبض بالحياة والنشاط إلى رمز للبؤس والحرمان والتعدي على قيم الإنسانية في نظر موسى الابن "لقد تحولت ريو دي جانيرو إلى معسكر عالمي، وتحولت معها مدن كثيرة في أطراف الأرض، وأنشئت أخرى في مناطق لا يعرف التلوث إليها سبيلا لتكون صوامع تحمل رايات الدولة العالمية " (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص163)، مدينة استحال الحياة فيها جحيما، السيد فيها جلالته والجند فيه زبانيته يمارسون القتل والتعذيب ويزرعون الرعب في نفوس الضعفاء إنها العبودية المنظمة تحت شعار مدينة العلم والتكنولوجيا ، "ذلك هو شأن مدينة ريو دي جانيرو بعدما تحولت إلى معسكر ضخم يحج بالأجناس التي حشدت من أطراف الكرة الأرضية" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص163).

وبين مدينتي لندن و ريو دي جانيرو استطاع موسى أن يعبر عن هموم أمته وشعبه، ناقلًا الواقع المعيشي الذي فرضه جلالته على الحشود البشرية التي تسكن مدينته العالمية لاغيا كل الحدود الجغرافية وموظفا

التكنولوجيا المتطورة مدعيا العلم والمعرفة في تسيرها.

2.1.4-الصحراء:

الصَّحْرَاءُ هي منطقة قاحلة حيث المطر قليل جداً، وظروف الطقس معادية للحياة النباتية والحيوانية، جوهرها العناصر اليابسة هي مكان "مفتوح شديد الاتساع يحمل في طياته المجهول والخوف والرغبة للإنسان وبالقدر نفسه يحمل على المغامرة والاكتشاف" (عبيد، 2011 ص171). الصحراء مكان مفتوح وجد موسى نفسه فيه، يحكمه منطق الولاء والطاعة إنها فضاء محفوف بالغموض والأسرار، شعر فيها بنوع من الخيبة والحسرة في تحقيق مشروعه الرامي إلى تحرير البشرية من جبروت جلالته وظلم زبانيته، يقول موسى: "نقلت إلى معسكر في أطراف الصحراء...صحراء لا أعرف عنها شيئاً، وكأنها كوكب قاحل ميت، من كواكب المجرة، وهنا وجدت نفسي وسط العرب... نعم العرب" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص170)، فالشموس المحرقة، وليال البرد، والرمال المحرقة وسط صحراء قاحلة تجعل الخوف يعيش في صدور المتواجدين بها وتصير الموت أمنية غالية لا ينالها إلا السعيد في ظل حكم جلالته، غير أن موسى قد يراها ملاذا يعبره ولا يستقر فيه غايته كما قال "يا عم لا يهم من أكون، ولكني أبحث عن وسيلة أخلص بها البشرية مما هي فيه من هوان (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص173)، إنها الصحراء فضاء تجتمع فيه القساوة والليونة، السعادة والشقاء، المتعة والراحة، الضياع والقلق والتمزق فهي مكان لا متناه يحمل المغامرة والإفلات من سطوة السلطة.

3.1.4- البحر :

فضاء واسع يرمز إلى القوة والعنفوان وإلى استمرارية الحياة، بقدر ما هو قاتل غادر بالأرواح، أنه الجمال والسحر، والخوف والذعر، السعادة والشقاء فالبحر رمز الحياة والاستمرارية والميلاد، وهو نقيض الموت، دونه تتدثر الحياة وتتلاشى، عالم المياه، زاهر وغني" (عبيد، 2011 ص120).

البحر بالنسبة لموسى الابن كان محطة عبور في رحلته للبحث عن خلاص للبشرية من جبروت جلالته وظلم زبانيته، كان المسافة التي تربط مدينة لندن بمدينة ري ودي جانيرو تمتاز بالهدوء والصفاء "كانت الشمس قد مالت إلى المغيب، لما اجتاز موسى سلسلة المنعرجات ليطل فجأة على المحيط من علو شاهق، وقد انبسط الماء أسفله راكدا لا يهتز، وصبغته الشمس بصبغة ذهبية، ثم أهدته من أشعتها الذابلة حمرة على أطرافه" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص157) أنه بالنسبة لابن جلالته الباحث على الحياة،

بفضل هدوئه وصفائه، وجاذبية ألوانه الذهبية والزرقاء، أنه مكان لا يبوح بأسراره للجميع بل هو قيمة متميزة لا يستطيع العقل فك رموزه وتحليل إحياءاته "نظر موسى للبحر.... نظر إليه ساعة هدوئه، وكأنه يكتنز سر الحياة...و لا يبوح بها إلى أحد" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص158).

هذا هو البحر مكان يعبر عن صورة من الصور الجميلة التي أبهرت الابن، فصوره تصويرا رائعا انطلاقا من زرقة السماء، وأشعة شمسها الذهبية، المسابة في الماء الراكد، الباعث على الهدوء والصفاء.

2.4 الأماكن المغلقة:

قد شغل المكان المغلق في رواية جلالته الأب الأعظم حيزا مهما، تدور حوله أحداث الرواية باعتباره "مكانا حددت مساحته ومكوناته، فهو كالبيوت والقصور المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسيجة السجون فهو المكان الإجباري المؤقت" (عبيد، 2011 ص42)، فيه تتوالد وتتفرع الأمكنة ويبرز الصراع القائم بين شخصيات النص الروائي فهو "يستقطب اهتمام الكاتب، بل البؤرة الضرورية التي تدعم الحكى، وتهض به في كل عمل تخيلي" (بحراوي، 1990 ص 29) وتعددت الأماكن المغلقة في الرواية أهمها :

1.2.4. البيت "الغرفة":

البيت كيان مميز "يمدنا بصور متفرقة، وفي الوقت ذاته يمنحنا مجموعة متكاملة من الصور، فالبيت هو ركننا في العالم" (باشلار، 1984 ص 35) تمثل أركانه من خلال الرواية الهدوء والسكينة والراحة النفسية، بل مكانا لاسترجاع هبة جلالته التي يبسطها على الجميع، فيها كان يمارس رغباته الجنسية على الحسنات كان يريدنهم كما ولدتهم أمهاتهم لا يكسوهم إلا الشعر الأشقر " رفعت الحسناء رأسها وتأمّلت الحجرة التي دخلتها لأول مرة..... شعرت بشيء من الاضطراب و الخوف ، فارتعدت فرائصها رغم اعتدال جو الغرفة" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص73) بداخلها يتحدد مصير الحسنات فإن رضي جلالته ضمها إلى حريمه مدة ثم حولها إلى خادمة أو وصيفة وإلا أمر ببعثها إلى قصر من قصور الملذات في أطراف المعمورة ولطبقة من الطبقات. بداخلها يسترجع الملك فيه ذكريات الماضي والحاضر، " قام جلالته يتمشى وسط الغرفة يراجع ماضيه وحاضره في شيء من الازدراء والخوف، وتابعته الحسناء بنظرات فيها من الشفقة ما يدفعها إلى التخفيف عنه وملاطفته" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص83) أنه المكان الذي يمارس فيه أحلامه، يكرس فيه هيمنته وجبروته.

2.2.4. الفندق :

الفندق مسكن يسكن فيه الشخص لوقت قصير مقابل أجر، مؤثث ومفروش وقد يكون مزودا بأجهزة منزلية ووسائل راحة وترفيه مع توفير خدمات الطعام والنظافة والصيانة وغيرها، إنه المكان الذي استقر فيه موسى بعد مغادرته المدينة العالمية لجلالته ووصوله لمدينة لندن ويحمل اسم التايمز "أنه فندق مخصص للطبقة الأولى... إنه نزل فخم أما الفنادق الأخرى فهي مخصصة لكل طبقة من الطبقات حسب مراتبها" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص145)، استطاع موسى الدخول إليه باستعمال البطاقة الذهبية التي سلمتها له إشتار إنها جواز سفره وعنوان طبقته، نزل اصطفت بإحدى زواياه السيارات الفاخرة، واتخذ من الأشكال الهندسية الغربية التي جعلت من الثلاثي عنصرا يتكرر تصميميا وتشكيلا، ومن أجساد الفتيات متعة جنسية يقول موسى مخاطبا الفتاة: "من أنت؟ قالت: أنا هنا لمتعة الركاب، أنا أثاث من أثاث هذه العربة، لي شرف خدمة الطبقة الأولى خدمة السادة" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص147). أنه مكان الذي اختاره جلالته كعنصر من عناصر قيام دولته العلمية المبنية على الطبقية والتميز بين الأفراد الذين يسكنون مملكته.

3.2.4 القصر :

القصر هو مقر إقامة كبير، وخاصة ما يتعلق بالمقرات الملكية والرئاسية، أو الأعيان رفيعي المستوى، كالأساقفة، كما يطلق قصر على المباني الفخمة والزخرفة. غير أن القصر في رواية جلالته الأب الأعظم جمع بين الهبة والوقار والعظمة وبين التكنولوجيا والخيال العلمي، مكان جمع بين أحداث الرواية وشخصياتها ورمز إلى الجبروت وبسط النفوذ والحكم ، فيه يحدد الطبقات التي يعيش بداخلها أفراد مدينته في خضوع وخنوع من هذه القصور :

أ-قصر جلالته الأب الأعظم :

وفيه استعمال جميع الآلات الحديثة والتكنولوجية لكي يظهر بمظهر الملك بجبروته وقسوته يستوجب الولاء والطاعة "ارتفع الحجاب الفولاذي الذي يسد مسلك النفق، والذي يشكل الجدار الخارجي للمعبد الرئيسي الذي تنطلق منه التعاليم الخاصة بطبقات الشعوب الثلاثة والثلاثون (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص85)، أنه المكان الذي يشعره بعظمته وعظمة مركزه، ويجعله يحلم بالخلود،"قام جلالته من عرشه إلى الحائط المقابل، فانكشف عن أجهزة معقدة تتقادح أنوارها وهي تملأ القاعة أزياء ووشوشة"

(مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص89).

ب. قصر الحريم :

عالم معزول عن غيره، لا يسمح لطبقات الشعوب الاقتراب منه أو مجرد التفكير فيه يعج بالحسنات اللواتي رضي عنهن جلالته فاستمتع وأمتعن "لقد استطاع الرجل المعجزة أن ينشئ لنفسه حريما فريدا، حشد فيه أولا كل فتاة أرادت أن تهب نفسها لجلالته تكلبه في أطراف الأرض" (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص72) هكذا كن يشاركن في إشباع رغبات جلالته تحت خضوع و ولاء، ينلن به وسام الشرف تعبيراً عن رضا جلالته، "لكن جلالته لم ينس الاعتناء بشخصه العناية الخاصة، فحريمه محرم على الرجال كافة، لا يتجرأ أحدهم على الاقتراب منه أو مجرد التفكير فيه. (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص73)

ج. قصور الملذات :

هي من الأماكن التي أسسها جلالته الأب الأعظم لغيره من الطبقات الأخرى لإشباع شهواتهم من النساء، ليست مكانا لرفيعي المستوى أصحاب الطبقة الأولى، إنها المكان الذي تُبعث إليه الحسنات اللواتي لم ينلن رضا جلالته" فإن رضي عنها جلالته استبقاها في الحريم مدة ثم تتحول إلى خادمة، أو وصيفة، وإلا أمر ببيعها إلى قصر من قصور الملذات في أطراف المعمورة، ولطبقة من الطبقات"، (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص74) فيها يحصل الفرد على أكبر بركة يتمناها في هذه الحياة وهي الاستمتاع بالحسنات اللواتي ممرن بقصر الحريم قصر جلالته، ومنه يحصل على الولاء والطاعة، إقامة هذه القصور في المعمورة هو خدمة مباشرة لسياسته، بما تقدم للمنعم عليه من مسرات، "والإقامة في قصر من تلك القصور أكبر نعمة يطمح إليها العامل، فيكون سعيه في الحياة هو الوصول إلى عتبة القصر"، (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص72) حقيقة اصطدم بها موسى الابن وكأن جلالته استطاع برمجة جميع العاملين بالقصر، يهرولون للمشاركة في تقديم الخدمات لجلالته في نباهة و حذق، واغتنام كل فرصة ممكنة للتذوق من كل الملذات المعروضة في مدينته ذلك هو حال إشتار وهي تروي لموسى كيف انقلبت الدنيا رأسا على عقب وأصبحت مطيعة لجلالته، " منذ ذلك الحين تحولت إلى فتاة تعيش بعرض لحمها في حلقات اللذة والفجور.....عندها رأيت أناسا يهبون أنفسهم في خضوع وخشوع، وأحسست بالخوف، وقد خسرت كل شيء، فوفقت أمامه واهبة جسدي، ثم وجدت نفسي في هذا المكان...وجدت نفسي في هذا المكان الذي يسمونه حريما

لأصدم مرة أخرى بحقيقة مرة، لأن كل فتاة تجتمع بجلالته لا تعود إليه ثانية أبداً، بل تبعث إلى قصر من قصور اللذة المخصصة لسادة الطبقة الثانية ". (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص132).

من الواضح جداً أن المكان في رواية جلالته الأب الأعظم يبرز العلاقة بينه وبين الإنسان الساكن فيه، له صفاته التي تميزه عن غيره يساهم في بنائه توارد الأحداث وتعدد الشخصيات في النص الروائي، أمر جعل المبدع يبدع في سرد الأماكن ووصفها وصفا يساهم في جمالية العمل الإبداعي فالطائرة كمكان يستخدم للسفر، جعل منه الكاتب بداية الانعتاق والتحرر من جلالته "رست الطائرة العملاقة الأرض برجليها ثم استوت بعدما غابت في كتل الغمام الأبيض، مناسبة انسياب السمكة في لجج الماء، يلامسها الهواء ملامسة المودع دون أن تلتفت إليه، وبصرها معلق بالأفق. (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص136)

وللمستشفى حضور باهت في رحلة موسى يظهر وهو يسأل الشيخ العجوز عن هويته "كنت أستاذاً لعلوم الأحياء وقد غادرت وطني للاشتغال في أوطان عدة، أقابل النخبة من كل أمة حتى شعرت بالدوار يوماً واستيقظت في غرفة المستشفى، وقد جن جنون الدنيا وانقلبت تمزق أشلاءها. (مونسي، جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل، 2002 ص171).

لقد اختار موسى لنفسه برنامجاً يعيد للنفس تكوينها المستقيم انطلاقاً من مغادرته لمدينة جلالته بقصورها وآلاتها ومعدتها التكنولوجية الحديثة في ظل الدولة العالمية، الخالية من الإنسانية والمجردة من المشاعر والأحاسيس والمبرمجة لأداء أنواع محددة من الخدمات، ووصولاً إلى بعث السكينة في النفوس وتعمير الأرض بعيداً عن جبروت جلالته وظلم زبانيته.

5. خاتمة:

أدت الأمكنة في رواية جلالته الأب الأعظم دوراً كبيراً في صنع معالمها الممزوجة بين الحقيقة والخيال، والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشخصياتها الحكائية المساهمة في بناء أحداثها المتعددة، عبر أسلوب جمالي ذوقي نجح من خلاله حبيب مونسي التعبير عن الرؤية المستقبلية للأمة بعيداً عن وهم العلم الزائف والتكنولوجيا الغربية التي تصنع من صاحبها جباراً ومن حاشيتها عبداً، لقد اختار لنصه أماكن متعددة مختلفة منها ماهو واقعي كالمدينة والمطار والمستشفى، ومنها ما هو خيالي كقصر جلالته وكقصر الحريم وقصور الملذات، رغبة منه في تحريك

¹عنصري التشويق والإثارة لدى القارئ.

رواية جلالته الأب الأعظم نص حكاوي وحديث مشوق، قدم فيه صاحبه حقيقة الصراع القائم بين الحق والباطل وبين الخير والشر، صراع يستتر تحت غطاء التقدم العلمي والتكنولوجي وحماية الماسونية التي جسدتها² الأماكن التي يقيم فيها جلالته الأب الأعظم انطلاقاً من العدد ثلاثة فالدولة قسمت إلى ثلاثة وثلاثين قطاعاً، والقاعة مثلثة الشكل، والجدران بها يشكلان ضلعي مثلث، والطاولة بها مثلثة تتابع الجدار في الطول والغرابة، ومجلس الحكماء به ثلاثة وثلاثين حكيماً يميلون بالولاء والعبودية للجلالته، أنه خطر الماسونية على المعمورة. لقد تمكن حبيب مونسي من خلال نصه الروائي الممزوج بالخيال العلمي من توظيف الأمكنة الملائمة لأحداثه، التي تجمع بين الخيال والتكنولوجيا وخلق التفاعل بينهما، والتي بفضلها يستطيع المتلقي بناء نص آخر وفق قراءة مغايرة لقراءة المبدع نفسه.

قائمة المراجع:

1. أسماء شاهين. (2001). *جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا*. الأردن: دار القارئ للنشر والتوزيع.
2. جمال الدين ابن منظور. (1997). *لسان العرب*. بيروت لبنان: دار صادر.
3. حبيب مونسي. (2002). *جلالته الأب الأعظم الخطر الآتي من المستقبل*. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع.
4. حبيب مونسي. (2011). *فلسفة المكان في الشعر العربي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
5. حسن بحراوي. (1990). *بنية الشكل الروائي*. المغرب: المركز الثقافي العربي.
6. حمادة تركي زعيتير. (2013). *جماليات المكان في الشعر العباسي*. عمان الأردن: دار الرضوان للنشر والتوزيع.
7. حميد لحميداني. (1991). *بنية النص السردي (المجلد الطبعة الأولى)*. بيروت: المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع.
8. داود محمد. (04 أفريل، 2001). *المدينة في الرواية الجزائرية الفضاء القسنطيني في رواية الزلزال*. مجلة إنسانيات، الصفحات 26-38.

9. سيزا قاسم. (2004). *بناء الرواية* . القاهرة مصر : مكتبة الأسرة.
10. شعيب خليفي. (2009). *شعرية الرواية الفانتاستيكية* . الرباط المغرب : دار الأمان .
11. غاستون باشلار. (1984). *جمال³يات المكان*. بيروت لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
12. محمد بن سيرين. (2008). *معجم تفسير الأحلام* . أبو ظبي الإمارات : مكتبة الصفاء.
13. محمد بوعزة. (2010). *تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم* . الجزائر : منشورات الاختلاف .
14. محمد مرتضى الزبيدي. (1994). *تاج العروس*. سوريا : دار الفكر للطباعة والنشر .
15. مهدي عبيد. (2011). *جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة*. دمشق سوريا: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب .
16. ياسين النصير. (1990). *الرواية والمكان* . بغداد : دار الحرية للطباعة .